

## هوية الشباب الجزائري بين أصالة المجتمع وتحديات العولمة

*The identity of Algerian youth between the originality of society and the globalization of the times*

بوزيان خيرالدين

جامعة العربي التبسي - تبسة (الجزائر)، bouziane.khiredine@univ-tebessa.dz

تاريخ النشر: 2021 / 12 / 30

تاريخ القبول: 2021 / 12 / 09

تاريخ الإستلام: 2021 / 05 / 09

## ملخص:

يقترن وجودنا التاريخي والجغرافي بالوجود الثقافي، هذا الوجود الذي يحدد خصوصيتنا الثقافية ويشكل هويتنا وانتماءاتنا، لكن هذا الوجود بات مهددا في الوقت الذي أصبحت المجتمعات الغربية تروج لثقافتها وأنماطها السلوكية المتناقضة مع شخصيتنا العربية عبر وسائل إعلامية مختلفة والتي غزت العقول وأصبحت تهدد الهوية الثقافية للمجتمع والفرد على السواء، فقد كثر الحديث عن الهوية في المعترك الحياتي في ظل العولمة بما لها من إحياءات وإيماءات سواء أكانت إيجابية أم سلبية على أفراد المجتمع، وخاصة فئة الشباب منهم، باعتبارها الفئة العمرية الأكثر احتكاكا وتعاملا وتلامسا مع الغرب عن طريق استخداماتها المتعددة لتكنولوجيا المعلومات من جهة، والمجتمع المحلي بعاداته وتقاليده وأعرافه من جهة أخرى.

الكلمات المفتاحية: الهوية؛ الشباب؛ الأصالة؛ المعاصرة؛ العولمة؛ الاعلام.

## Abstract:

this presence that defines our cultural specificity and shapes our identity and affiliations, but this presence has become threatening at a time when Western societies are promoting their cultures and behavioral patterns that contradict our Arab personality through different media that invade the minds and threaten the cultural identity of society and the individual. Equally, there has been a lot of talk about identity in the life arena in light of globalization, with its indications and gestures, whether positive or negative, on members of society, especially the youth group among them, as it is the most frictionless age group that interacts and comes into contact with the West through its multiple uses of information technology on the one hand, And the local community with its customs, traditions and customs on the other hand.

**Keywords:** Identity; Contemporary; Globalization; media; originality; Young.

## مقدمة

يعد موضوع الهوية مجالا خصبا للنقاش العلمي المتخصص، فهو على علاقة وطيدة بالبناء الاجتماعي ووظائفه، وفضاء للتفاعل مع العديد من المفاهيم والمتغيرات ذات الصلة، وهو ما جعله موضوعا تتقاسمه التيارات، كأن نرى من يؤصل لموضوع الهوية ويعود بها إلى منطلقاتها الاجتماعية، ويرى بأن تحافظ على وجودها وتدخل في علاقات مع هويات أخرى مشكلة فسيقساء اجتماعية قوامها التنوع، والذي يعد عامل قوة. بينما هناك من يرى أن المتغيرات الحاصلة في الواقع وبروز مفهوم العولمة الذي يدعوا إلى الاندماج ضمن هوية واحدة، مجسدة وحدة المجتمع الدولي تحت هدف واحد، موظفة في ذلك العديد من الوسائل كتكنولوجيا الاعلام والاتصال، ناهيك عن المنظمات الدولية، وغيرها. هذا الوضع جعل العديد من الأصوات تتعالى منددة بطريقة فرضه.

غير أن المناصرين له يرونه بأنه يترك الحرية للجميع للانندماج فيه والمساهمة في تطور الانسانية. وهو الوضع الذي لم يكن المجتمع الجزائري بمنأى عنه، إذ انعكس موضوع النقاش على هوية الشباب الجزائري، من حيث كينونتها وتشكلها وأصالتها، فهو ينتهي إلى منظومة قيمية تستمد روحها من تعاليم الدين الاسلامي باعتباره مركبا أساسيا للشخصية الجزائرية، حيث ينادي العديد من المهتمين بضرورة الحفاظ على هذا المكسب لأنه محصلة نضال وتضحيات جسام في الأرواح والاموال، كما أن الحفاظ عليها هو حماية للمجتمع من التفكك وتحقيقا لعنصر الاستقرار الذي يمكن أن يساعد على الاقلاع التنموي، واعتبار العولمة هي نموذج جديد للاستعمار القديم. بينما هناك من يرى بضرورة الانسجام مع مقتضيات العولمة تحقيقا للتطور وتماشيا مع مقتضيات العصر. لما تمنحه من أدوات وفرص للتغير الايجابي، وأن مقاومتها لن تجلب الا الخراب والدمار وتعميق خالة التخلف التي نعيشها. وهنا يدخل الشباب في حالة من الجدل بين حماية هويته والقبول اكرهات العولمة وتحدياتها.

من هذا المنطلق يمكن أن نطرح التساؤل التالي:

. ما مدى اكتساب الشباب الجزائري ميكانزمات المحافظة على هويته الوطنية في ظل الهيمنة الغربية

وعولمة العصر؟

## أولا: مدخل مفاهيمي

## 1- مفهوم الهوية والهوية الثقافية:

الثقافة هي بطاقة هوية كل بلد وكل مجتمع، تحمل نسقا مركبا من التراث والتاريخ واللغة والمعتقدات والتقاليد والقيم، والتي بها تميز المجتمعات (شحرور، 2009)، وبعيدا عن المفاهيم اللغوية نستطيع القول أن للثقافة تعاريف متعددة منها كما يرى إدوارد تايلور في تعريفه للثقافة على أنها الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والعرف، وغير ذلك من الإمكانيات والعادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضوا في المجتمع (الصاوي، 1997).

أما مالك بن نبي يعرف الثقافة: " أنها مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته لتصبح لاشعورية تلك العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه، فهي على هذا المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته"، وعندما تتكون ثقافة المجتمع فإنها تخلق تاريخه حيث تولد علاقة بين الثقافة والتاريخ إذ ليس ثمة تاريخ بلا ثقافة، فالشعب الذي يفقد ثقافته يفقد حتما تاريخه (السويدي، 1991). حيث يرى مالك بن نبي أن الثقافة في وظيفتها الاجتماعية تقوم على مبدأ التبادل المتمثل في الإرغام الاجتماعي والموقف الفردي للفرد وهو مبدأ أخلاقي في صميمه مستوحى من القرآن والسنة، والتحليل الدقيق للثقافة يبين لنا أنها تركيب متألف للأخلاق والجمال والفن، ويلج مالك بن نبي على

ضرورة هذا التركيب المتألف (عبادة، 1984)، فالثقافة أو الرأسمال الاجتماعي حسب المفكر الأمريكي فوكوياما أيضاً محصلة من المعارف والقيم هذه المعارف تتوارث في المجتمع يتلقاها الفرد في الأسرة وبذلك تكيف السلوك الفردي والجماعي.

وهناك العديد من التعاريف حول مفهوم الثقافة والتي يمكن إجمالها عموماً في مضمون واحد وهو أن الثقافة تشير إلى ذلك النسيج الكلي المتمثل في الأفكار والاتجاهات والعادات ومنظومة القيم وطريقة التفكير والعمل وأساليب الإدارة وآداب السلوك التي تحكم جماعة من الأفراد وكذلك اللغة ونمط العيش وما يتضمنه من مسكن ومشرب ومأكل، وعلاقات تؤسس التواصل بين الفرد والجماعة والفرد وخالفه. ولعل من أهم خصائص الثقافة أنها خاصية اجتماعية مكتسبة متراكمة، مركبة ومتكاملة، منتشرة ومستمرة ومنتقلة من جيل إلى جيل آخر لتشكل في نهاية المطاف التراث الثقافي لأي مجتمع من المجتمعات، فإذا كان هذا مفهوم الثقافة فما هي الهوية؟

مفهوم الهوية ذاع صيته في الآونة الأخيرة في خضم جملة من المفاهيم المعاصرة حيث ظهر بشكل بارز على السطح، وأصبح من الصعوبة بما كان تحديد مفهوم الهوية، ولعل مرد ذلك إلى بروز مفهوم العولة وإذا تفادينا المفاهيم اللغوية فإن التعريف الخاص بالهوية والذي يساعدنا في هذا الموضوع: "الهوية هي مجموعة المميزات الجسمية والنفسية والمعنوية والقضائية والاجتماعية والثقافية التي يستطيع الفرد من خلالها أن يعرف نفسه وأن يقدم نفسه وأن يتعرف الناس عليه، أو التي من خلالها يشعر الفرد بأنه موجود كإنسان له جملة من الأدوار والوظائف والتي من خلالها يشعر بأنه مقبول ومعترف به كما هو من طرف الآخرين أو من طرف جماعته أو الثقافة التي ينتمي إليها (مسلم، 2009).

من هنا يكون مفهوم الهوية متعلق بمفهوم الثقافة في مجمل التعريفات التي تناولته، فهو مفهوم ثقافي تاريخي يتكون لدى الفرد من خلال الثقافة التي يحيا فيها فدور الثقافة بكل ما تحمله من معاني هو تكريس هوية ثقافية من خلال عملية تمثل عاطفي واجتماعي مع عملية اندماج تاريخية وثقافية ونفسية واقتصادية وتستغرق زمناً طويلاً مما يؤكد أهمية التاريخ في خلق الهوية الثقافية بصفته الرحم الذي تنمو وترعرع فيه لتشكل في نهاية المطاف هوية ثقافية معينة نتيجة انتمائها لأمة معينة.

وعليه يمكن القول أن: "التراكم التاريخي ضروري لصنع الهوية الثقافية لأنها في النهاية هي المستوى الناضج الذي بلغته المجموعات البشرية نتيجة تفاعل قرون طويلة بين أفرادها وبين الظروف الطبيعية والتاريخية التي مرت بها والتي نسجت فيما بينها روابط مادية وروحية مشتركة أهمها وأعلاها رابطة الدين واللغة (عبد السلام، 1997).

وبهذا فمفهوم الهوية والثقافة قد لا نجد تعريفاً اصطلاحياً يفرقهما فالهوية أو الثقافة وحسب ما أثبتته الدراسات السوسولوجية والأنثروبولوجية أن الهوية هي الإحساس بالانتماء إلى جماعة أو أمة لها من الخصائص والمميزات الاجتماعية والثقافية والنفسية والمعيشية والتاريخية التي تعبر عن نسيج أو كيان ينصهر ويندمج في بوتقته جماعة بأكملها وبذلك يصبحون منسجمين ومتفاعلين تحت وطأة تلك الخصائص والمميزات.

## 2- مفهوم الشباب:

يمكن تحديد مفهوم الشباب من خلال عدة اتجاهات منها (غرايبة، 2009):

– الاتجاه البيولوجي: الذي يؤكد على الحتمية البيولوجية في تحديد الشباب على اعتبار أنها مرحلة عمرية من نمو الإنسان، والذي يكتمل نضجه العضوي وكذلك نضجه العقلي والنفسي.

- الاتجاه السيكلولوجي: حيث يرى هذا الاتجاه بأن الشباب حاله عمريه تخضع لنمو بيولوجي من جهة ولثقافة المجتمع من جهة أخرى بدءاً من سن البلوغ وانتهاءً بدخول الفرد إلى عالم الراشدين الكبار حيث تكون قد اكتملت عملية التطبيع الاجتماعي.

- الاتجاه السوسيوبيولوجي: وينظر إلى الشباب على اعتبار انه حقيقة اجتماعية وليس ظاهرة بيولوجية فقط أي أن هناك مجموعه من السمات والخصائص تميز هذه الفئة وتتميز مرحلة الشباب بخصائص جسميه وحركيه وعقليه واجتماعيه وانفعاليه تميزها عن غيرها من مراحل النمو إلا أن النمو الاجتماعي الذي يتسم بتقدير الشباب للقيم الأخلاقية وهذا مرتبط إلى حد كبير بدور الأسرة الذي نقوم به من حيث ترسيخ القيم الأخلاقية.

كما يمكن تعريف فئة الشباب بأنها الفئة العمرية التي تمتد من 15-30 عاماً وتتسم هذه المرحلة بعدد من الخصائص والقدرات البيولوجية والسلوكية والاجتماعية، وتتحدد بداية هذه المرحلة ونهايتها على أساس طبيعة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي يمر بها المجتمع (غرايبة، 2009).

مما سبق يمكن القول أن الشباب مرحلة من مراحل العمر تقع بين الطفولة والشيخوخة تتميز بيولوجيا بالاكتمال العضوي ونضوج القوة، وتتميز اجتماعيا بأنها المرحلة التي يتحدد فيها مستقبل الانسان المهني والعائلي.

### 3- مفهوم الأصالة:

الأصالة كما يقول علماء اللغة تتضمن معاني القوة والثبات والاستحكام، وأصل الشيء أساسه الذي يقوم عليه ومنشؤه الذي ينبت منه (ابن منظور، 1997)، ومن مدلولات الأصالة القاعدة وأصل كل شيء أسفله، وأيضاً الدوام والاستمرار، ويقال إن النخل بأرضنا لأصيل أي هو بها لايزال ولا يفنى (ابن منظور، 1997). يقول د عبد التّوّاب "ان الأصالة ما تنزل به الوحي الالهي المعصوم على خاتم النبيين والمرسلين، والمنهج الأصيل هو ما تضمنه الدين الحنيف بمراتبه الثلاث الاسلام والايمان والاحسان و هو ما يعبر عنه بالعقيدة والشرعية والأخلاق" (صالح، 2011).

### 4- مفهوم المعاصرة:

معاصرة على وزن مفاعلة من العصر، وللعصر عدة معان، أهمها وقت وجوب صلاة العصر وهو الوقت في آخر النهار إلى احمرار الشمس، وعاصر فلانا أي لجأ إليه ولاذ به وعاش معه في عصر واحد (ابن منظور، 1997)، ويقول الدكتور الشاهد "المعاصرة هي المعاشية بالوجدان والسلوك للحاضر والإفادة من كل منجزاته العلمية والفكرية وتسخيرها لخدمة الإنسان ورقيه (الزاكي، 2008). ويقول وتستخدم المعاصرة في مقابل الأصالة، فيقال مثلاً: "الإسلام بين الأصالة والمعاصرة" بمعنى كيفية تمكن الإسلام من مسطرة العصر والوفاء بمتطلباته والتعامل مع مقتضياته المتغيرة بثوابته الأصلية (الزاكي، 2008).

### 5- مفهوم العولمة:

يثير مصطلح العولمة جدلاً واسعاً على الساحة العالمية في مختلف مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتربوية، وتعدد زوايا دراسته، حيث تتناقض رؤى التعامل معه، وتتفاوت المواقف منه، مما يجعل الإلمام بكل أطراف الظاهرة وأبعادها المتشابكة والمتقاطعة في معظم الأحيان، أمراً يصعب على أي دارس أو مؤلف أن يحصمها أو يتناولها من كافة أبعادها (العامر، 2006)، وعليه سوف نتطرق إلى بعض التعريفات الهامة حول العولمة بالقدر الذي يسمح به المقام والمقال وهي كالآتي:

العولمة لغة هي تعميم الشيء ليكتسب صفة عالمية، اصطلاحاً تعني سيادة نموذج سياسي واقتصادي واجتماعي وثقافي.... إلخ، موحداً على الصعيد العالمي (شحرور، 2009)، وتمثل واحدة من ثلاث كلمات عربية

جرى طرحها ترجمة للكلمة الإنجليزية GLOBALIZATION أو ما يعادلها بالفرنسية MONDIALISATION والكلمتان الأخريان هما الكوكبة والكونية (صدقي، 2002)، وتعني نمط حضاري معين (علال، 2019).

وأكثر التعريفات المقدمة حول العولمة، كانت حول ما يمس الجانب الاقتصادي والسوق، حيث تهدف إلى أن تصبح الأسواق والمنتجات في الدول المختلفة معتمدة كل منها على الأخرى بشكل متزايد (صدقي، 2002). وقد لاحظ الدكتور حسن حنفي أن العولمة في مظهرها الأساسي هي تكتل اقتصادي للقوى العظمى لاستثمار ثروات العالم، موارده الأولية، وأسواقه على حساب الشعوب الفقيرة، والاحتواء المركز للأطراف التي حاولت الفكك منه في الخمسينات والستينات إبان حركة التحرر الجزائرية، ثم تعثرت في بناء الدولة الوطنية، فأراد وراثتها من جديد تحت أحد أشكال الهيمنة وهي العولمة (حنفي، 1999).

ولقد عرف المؤتمر الدولي للثقافة في القاهرة نوفمبر 2000 الذي كان محوره الأول الثقافة بين العولمة والخصوصيات القومية أن العولمة عملية تاريخية تمتد في أعماق الزمان من ناحية ومن حيث كونها إيديولوجية النظام العالمي الجديد من ناحية أخرى (الزبود، 2011).

وتعرف العولمة كما جاء في أغلب الأدبيات الأمريكية التي تناولتها، بمعنى تعميم شيء وتوسيع دائرته، أو بعبارة أكثر دقة تعميم نمط من الأنماط الفكرية والسياسية والاقتصادية، الذي تختص به جماعة معينة أو نطاق معين أو أمة معينة، على الجميع أو على العالم كله (التابعي، 1999) وإذا أردنا أن نقرب من صياغة تعريف شامل للعولمة، فلا بد أن نضع في الاعتبار ثلاث عمليات أساسية تكشف عن جوهرها ألا وهي:

- الأولى تتعلق بانتشار المعلومات، بحيث تصبح مشاعة لدى الجميع.
- الثانية: تتعلق بتذويب الحدود بين الدول والمجتمعات.
- الثالثة: تتمثل في زيادة معدلات التشابه بين الجماعات والمجتمعات والمؤسسات، ومن ثمة فإن كل هذه العمليات، قد تؤدي إلى نتائج سلبية بالنسبة إلى بعض المجتمعات وإلى نتائج إيجابية بالنسبة إلى مجتمعات أخرى، وأيا كان الأمر، فيمكن القول أن جوهر عملية العولمة يتمثل في سهولة حركة الأفراد والمعلومات والسلع بين الدول على النطاق العالمي، وعلى ضوء التعريفات السالفة الذكر، نصل إلى محاولة صياغة تعريف محدد للعولمة يكون موضحا لطبيعتها ومحددا لأبعادها، وهو كالتالي:

العولمة هي تغريب للعالم كله، أي الدعوة إلى تبني النموذج الأمريكي الغربي في الاقتصاد والسياسة والثقافة، بل وفي نمط الحياة بشكل عام، وتحدد مظاهرها حاليا في عمليات أساسية وهي كالتالي:

- أولها قيام نظام اقتصادي وسياسي عالمي، وهو الليبرالية الاقتصادية والسياسية،
- ثانيا صياغة ثقافة عالمية والتحرر من الهويات الثقافية،
- ثالثا سيادة التكنولوجيا الغربية، وهيمنة الثورة المعلوماتية والاتصال الغربي، هذا بالنسبة إلى مفهوم العولمة، أما عن أبعادها العالمية فيمكن القول أن للعولمة أبعاد متعددة سياسية واقتصادية، وثقافية وتكنولوجية واتصالية، حيث يتجسد بعدها الاقتصادي في نمو وتعمق الاعتماد المتبادل بين الدول والاقتصاديات القومية، وفي وحدة الأسواق المالية، وفي تعمق المبادلات التجارية أما البعد السياسي للعولمة، فيتمثل في وجود أنظمة سياسية، وشكل معين من أشكال الحكم تتسق وطبيعة النمو الاقتصادي الرأسمالي والأسواق الحرة، أما البعد الثقافي، فيتمثل في انهيار السيادة الثقافية الوطنية، من حيث تعرض النسيج الثقافي الوطني للغزو نتيجة الضغوط الثقافية والقيمية الكثيفة من الخارج، والإخفاقات الذاتية من الداخل التي منيت بها مؤسسات إنتاج الرموز والقيم، أما على الصعيد التقني للعولمة، فيتمثل فيما تقدمه من صور للتقدم التكنولوجي الهائل، الذي يعد مطلبا أساسيا من متطلبات التنمية، ذلك لأن تحقيق التنمية، يستلزم الوعي التكنولوجي واستخدام المعارف التكنولوجية الحديثة، التي تكفل زيادة الإنتاج ورفع مستوى الأداء في

كل مناحي الإنتاج والخدمات، وأخيرا هناك البعد الإتصالي للعولمة، أي عولمة اتصالية تبرز من خلال البث التلفزيوني، عن طريق الأقمار الصناعية، وبصورة أكثر عمقا من خلال شبكة الانترنت، حيث تربط البشر في كل أنحاء المعمورة (التابعي، 1999).

وعليه يمكن القول أن العولمة ظاهرة جذورها قديمة، في حين تأثيراتها حديثة مرتبطة ارتباطا كبيرا بثورة المعلومات، وبتقدم تكنولوجيا الاتصال والتجارة، وهي عملية ذات أبعاد مركبة تشمل النواحي الاقتصادية والاجتماعية والمعلوماتية والتكنولوجية، والثقافية والسياسية وللعولمة أبعاد أخرى تحمل آثارا سلبية على كثير من دول العالم، لاسيما الدول النامية والفقيرة، وقد تؤدي إلى تزايد المشكلات العالمية العابرة للحدود وتصاعد حدتها مثل مشكلة المخدرات، وجرائم غسل الأموال، والهجرة غير المشروعة والتطرف وتلوث البيئة وظهور الأمراض الفتاكة، والدليل على ذلك الأزمات، والمشكلات التي بدأت تظهر اليوم في العديد من دول العالم خاصة الدول الضعيفة.

#### 6- مفهوم الاعلام:

لغة: الاعلام من مادة علم و العلم نقيض الجهل و علم علمًا، و علم هو في نفسه تعليمًا، اذن بالشيء اذنا و علم به (ابن منظور، 1997).

اصطلاحا: عرفه البعض بأنه "التعبير الموضوعي لعقيدة الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها في نفس الوقت" (العطب، 2008).

كما عرف بأنه "عملية تزويد الناس بالأخبار والحقائق والمعلومات الصادقة عن طريق وسائل الاعلام او هو اطلاق الرأي العام في الداخل و الخارج على ما يدور من أحداث ووقائع و بث الثقافة و الوعي بين صفوفهم" (العطب، 2008).

#### ثانيا: الهوية بين الوحدة والتنوع في ظل العولمة.

" إن إحساسنا بالواقع صار أمرا شديدا نسبيا في عصرنا الحالي. فالقوى الشديدة للعولمة و الثقافة والاقتصاد وغيرهم والتي تتخذ شكل شركات عابرة للقارات وتدفق الهجرة، قد أدت إلى خلط أوراق الدولة والهوية والمواطنة. كما أن ارتفاع تيار الفردية صار محل اهتمام في ظل استمرار المجتمع في فقد وعيه الجماعي الذاتي \_ كما يبدو \_ وبالتالي فقد مقدرته على العمل السياسي، وفي مقابل ذلك نجد الشركات عابرة القارات متعددة الجنسيات التي ترسوا قواعدها في المجتمع العالمي، قد اكتسبت أرضا جديدة في العمل السياسي والقوة والنفوذ على الحكومات القومية و البرلمانات، وكانت نتيجة ذلك أن الوجه الرئيسي للسياسة في مطلع الألفية الجديدة هو ظهور موضوعات اخترقت الواجهة الديمقراطية الوطنية للأمة وصارت بمثابة المحرك الرئيسي للعمل السياسي (Lisa, 2002).

فالعولمة لا تعرف فقط على أنها مجرد تكامل اقتصادي بين الأسواق في ظل نظام غير عادل يقع تحت الهيمنة الأمريكية فحسب، بل أنها كذلك تكامل بين مختلف النظم القيمية التي تشكل مجتمعاتنا. فعلى سبيل المثال، نجد أن الأفكار والعادات و المعايير التي تقوم بتعريفنا كأفراد أو كأمة تتغير باستخدامنا للإنترنت و القنوات التلفزيونية الفضائية بهدف خلق هويات جديدة وتشكيل مجتمعات حديثة. وتلك العملية تعمل على خلق وسائل للتكامل الثقافي والاقتصادي و السياسي (Course-W, 2002)، وتوصف العولمة بأنها " عملية تدفق التكنولوجيا والاقتصاد و المعرفة والأفراد و القيم والأفكار عبر الحدود. فللعولمة تأثيرها على كل بلد بشكل مختلف وفقا للتاريخ الذاتي لكل أمة ووفقا لتقاليدها وثقافتها ومصادرها وأولوياتها.

والعولمة عملية متعددة الأوجه فهي تنطوي علي متضمنات اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية للتعليم العالي. كما أنها تفرض تحديات جديدة عندما تكون الدول وحدها ليست الموفر الرئيسي للتعليم العالي والمجتمع الأكاديمي، وعند ما لا تحتكر صناعة القرار في التعليم (Unesco, 2003).

كما أن هناك من ينظر للعلاقة بين التكنولوجيا والمجتمع والثقافة من خلال " الإنترنت " علي أنها إما صالحة أو مفسدة للمجتمع وثقافته بوجه عام وبالرغم من التناقص والتنافر بين الإصلاح أو الإفساد إلا أنهما ينظرا للتكنولوجيا بعين واحدة وهي أنها وحدها تشكل وتغير المجتمعات وثقافتها (Zurawski, 1998).

والسؤال الذي يطرح نفسه:- ما أثر الإنترنت على الثقافة والهوية؟ والإجابة قد تلقي مزيدا من الضوء علي العلاقة بين الهوية الثقافية واستخدام التكنولوجيا، والهوية هي أمر هام لاستخدام مدركات الإنترنت وفي ظل الإنترنت والعالم الذي صار قرية صغيرة فإنه لا بد وأن نري ونشاهد ظهور هويات واختفاء أخرى. فنجد بعض النظم والدول ترتفع أسهمها اقتصاديا وعسكريا وبالتالي فستفرض هويتها علي غيرها وتندشر ثقافتها علي من هو أضعف وكنتيجة لذلك سنري اضمحلال واختفاء هويات تلك الدول المستوردة لهذه الثقافة كبند أساس وشرط أولي لاستيراد تكنولوجيا تلك الدول (Unesco, 1998).

ويترب على ما سبق التساؤل: هل ستقوم العولمة بفرص أي تهديد لاستمرار التنوع الثقافي؟ وهذا التساؤل بدوره يلقي الضوء علي تساؤلات أخرى منها: هل يمكن اعتبار العولمة عملية حتمية لابد لكل الدول أن تتكيف معها في النهاية؟ أم أنها موضوعة ستأخذ وقتها القصير ثم تمر؟ وهذا يعني أن نضع في اعتبارنا أن (faculty of Arts, 2004):

- الفشل في تفادي التهميش الناتج عن الاتجاه نحو العولمة - أكثر من وقتنا الراهن - حيث يتم اقضاء بعض الدول عن النظام العالمي الجديد.

- بعيدا عن أي إصلاح داخلي، فإن غالبية نظم التدريب المهنية والتعليمية تتأثر بشكل مباشر بالاتجاه نحو العولمة بالدرجة التي تفضل ظهور مصادر تعليمية جديدة خاصة من القطاع الخاص ومداخل جديدة مثل حافزية المستهلك في مجال التعليم.

- وان كانت العولمة لا بد وأن تتضمن المخاطرة بحدوث الاستعمار الثقافي والتكنولوجي فلا يجب الافتراض بأن محاولات التكيف مع هذه الظاهرة تقوم بفرض تهديد حقيقي علي الهوية المحلية.

وهنا تظهر العلاقة بين المكان والهوية فالمكان هنا لا يشير لمجرد موقع محدد الأبعاد، بل أنه يشير لتوليفة - إن صح أن نقول ذلك - من التفاعلات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في مكان ما. وقد أثرت عمليات العولمة في عالمنا الحالي علي العلاقة بين الهوية والمكان بشكل جذري، فعلي سبيل المثال: أدت سرعة وتزايد الحركة بين البشر وانتشار تكنولوجيا المعلومات وثورة التكنولوجيا الحيوية البيولوجية والتحولت الثقافية، كل ذلك أدى إلي خلخلة الروابط بين الهوية والمكان. وتؤثر العمليات المحلية والعالمية بشكل غير محدود علي كل الظروف البشرية والنظم الاقتصادية التي تحتويها، وهذا التأثير ومن ثم الأشكال الجديدة ينجم عنها أنماط مختلفة وجديدة من الترابطات غير مسبقة الوجود، وبطبيعة الحال سنري صراعا بين القديم والحديث من العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الذي سيتأى عنه مزيدا من التأثير علي بناء المكان للهوية (Ali, 2004).

فعند النظر للمجتمع الغربي -أمريكا وأوربا في مراحل تطورها اللغوي والعقائدي فإننا لا نجد أننا بصدد أي مشكلات في الهوية العقائدية واللغوية بين معظم الأقطار الغربية، ويرجع ذلك إلي اعتناق معظم أفراد هذا المجتمع لديانة واحدة في معظمها في العصور الوسطي وحتى وقت قريب عندما بدأ يظهر التعدد الديني والمذهبي، كما أن المجتمع في مجمله - ونقصد بالمجتمع هنا الدول الأوروبية- كان يستخدم لغة واحدة للتفاهم، مما نجم عنه عدم وجود مشكلات هوية دينية أو لغوية.

أما في جنوب آسيا نجد أن موضوع الدين صار مصدرا للهوية، التي تعتبر وسيلة للحراك السياسي وبالتالي مصدرا للصراع، حيث أن شيوع الإسلام في هذه المنطقة جعل أتباعه ومعتنقيه يحظون بقوة تدعمهم في انطلاقهم نحو قمة الهرم الاجتماعي، وبالتالي فالهوية الدينية صارت مصدرة قوة في الدول الديمقراطية التي تنادي بالحرية، فالعقيدة والديمقراطية يمكن أن يؤدي كل منهما دوره فالعقيدة قوة روحانية والديمقراطية قوة سياسية (Ali, 2004).

أما في استراليا فيزداد الأمر صعوبة لتحديد وتعريف الهوية الأسترالية، في ظل العولمة وعملياتها وأثر التكنولوجيا على الهوية القومية (Ali, 2004)، وذهب " جون أستن " إلى أن مسؤولية تحديد الهوية تقع على كل فرد من أفراد المجتمع الأسترالي وبخاصة القائمين على العملية التعليمية في الألفية الجديدة وسوف تتأثر طبيعة المجتمع والثقافة - بشكل كبير - بالأوضاع التعليمية الحالية وبالتالي ستساهم في تكوين مجتمع أكثر توافقا وتكافنا.

### ثالثا: التراث الثقافي والحفاظ على الهوية.

الثقافة الشعبية - في الدول العربية عموما- تراث له قيمته التاريخية والاجتماعية... حيث يذكر حتى اليوم عدداً من التعبيرات الأدبية والمشاهد الفنية التي حفل بها تاريخ الشعب وثقافته، والتي كان لها تأثيرها العميق في فكره وسلوكه. وتعتبر الأمثال الشعبية - في حد ذاتها - تعبيراً أدبياً عن قيم سائدة ومفاهيم راسخة، ولو تعقبنا عدداً من هذه الأمثال بالتأمل والدراسة، لوجدنا أن بعضها ينطوي على معان عميقة وذكية، يتضمن كل منها إشارة إلى قيمة اجتماعية ندركها في حياتنا، ونشهد تكرارها يدل على اعتقاد أصيل فيها، بقي أن ندرك أن التراث الثقافي هو حصيلة قيم سادت في فترات مختلفة من تاريخنا، وصياغة لمفاهيم اجتماعية، ومشاعر مشتركة، عرفها شعبنا ووعتها جماهيره، ومن هنا فإن التراث الثقافي لا يمثل مصدراً للقيمة الاجتماعية فحسب، ولكنه يمثل - في الوقت ذاته - امتداداً لها وحافظاً عليها (الفاقي، 1994). وبالتالي تعميق للهوية والانتماء. والهوية قد تتعدد وتتغير حسب الهدف منها وأساس التصنيف حسب العدة أو المكان أو الجنس... الخ.

\* نمو أو تكوين الهوية: عندما ينتهي المرء إلى عقيدة ما فإنه يطور في الواقع هوية إنسانية مميزة تمثل توجهه بنائي سيكولوجي له أسسه ومنطلقاته الخاصة، ويرى " James Marcia " أن هناك احتمال لأن تنتهي عملية تكوين الهوية لدى المراهق إلى أربع صيغ مختلفة (التبر، 2001):

- الشخص ذو الهوية المائعة أو غير المحددة: والتي تميز الشخص الذي لم يمر بأزمة هوية والذي يرفض أي التزام بمجموعة قيم ومعتقدات معينة.

- الشخص ذو الهوية المنغلقة أو المائعة: وهو الشخص الذي فشل في أن يخبر أية أزمة هوية، ولكنه نجح في انشاء تعهد أو التزام، وهو ذلك الشخص الذي لا يتساءل مطلقاً عن هويته والذي يكتسب نسق قيمه الدينية عن طريق القهر من قبل الآباء.

- الشخص ذو الهوية المؤجلة: وهو ذلك الشخص الذي يعاني من أزمة هوية ولكن لم يستطيع التوصل إلى تعهد أو التزام بقيم ومعتقدات معينة.

- الحالة المرغوبة والتي يمكن تسميتها بالهوية المحققة: وتوجد هذه الحالة حال نجاح المراهق في حل أزمة الهوية المرتبطة بأزمات النمو النفسي بشكل عام، ونجاحه كذلك في صنع والالتزام بهوية دينية خاصة به.

### رابعا: الهوية بين الماضي والحاضر.

يلعب التعليم والتنشئة الاجتماعية والتراث الثقافي دورا في اكساب، وتعميق الهوية والانتماء حيث يذهب الكثيرون إلى أن اهتمام برامج التعليم بالتراث والتاريخ و بالثقافة المحلية اتجاه في الطريق الصحيح.

حيث تساعد مكونات هذه المجالات علي أن يتعرف أفراد المجتمع على خصائص ثقافتهم وحياتهم علي أمل أن يتشرب التلميذ قيما تقوي صلته ببلده، وتجعل منه مواطنا ملتزما، ولاؤه الأول لمجتمعه وثقافته ويلاحظ أن هذه الدعوة تنامت أكثر في عصر العولمة، وكأن هذا الأسلوب هو السبيل ضد الغزو الثقافي وضد تلاش الشخصية الوطنية أو القومية وذوبانها في ثقافة عالمية إلا أن الاغراق في الاهتمام بالقديم، والتمادي في تمجيد الماضي قد يقود إلي مخرجات يتشبث أعضاؤها بالماضي علي حساب الحاضر أو المستقبل، خاصة في المجتمعات التي تعاني حاضرا ملئ بالاخفاقات، وتاريخا طويلا يحتوي علي أمجاد كثيرة (بلقزيز، 1997).

وبعد النهج الذي تبناه " إريك فروم " في دراسته لما أطلق عليه " الشخصية الاجتماعية " لكي يميزه عن " الشخصية الفردية " هو - بوجه عام وبغير الالتزام بكل مسلماته - أقرب الاتجاهات النظرية في دراسة الشخصية القومية ؛ وذلك لأنه ينطلق من تصور شامل للطبيعة الإنسانية في إطار السياق التاريخي الذي يؤثر عليها، ويترك بصماته علي ملامحها وقسماتها الرئيسية.

وهذا التصور الشامل ينطلق من الإطار الاشتراكي العلمي الذي ينظر للشخصية نظرة جدلية في تفاعلها الدائم مع التكوين الاقتصادي والاجتماعي في مجتمع محدد، أو في تأثرها بنمط الإنتاج السائد في عدة مجتمعات متشابهة. وهذا يعني علي وجه التحديد أن نمط الإنتاج السائد في عصر ما أو منطقة حضارية محددة - كنمط الإنتاج الإقطاعي أو الرأسمالي الاشتراكي من شأنه أن يشكل الشخصية الإنسانية وفق خطوط متميزة.

فالشخصية الإنسانية في ظل نمط الإنتاج الإقطاعي - فيما يراه بعض الباحثين، قد تأثرت ببساطة بنمط الحياة وبطئ إيقاعها في المجتمعات الإقطاعية مما أدى إلي ثبات طرق التفكير، وغلبة الجمود والتحجر علي العادات الاجتماعية و القيم الأخلاقية. يُضاف إلى ذلك تقديس شديد للماضي علي حساب الحاضر والمستقبل، وشيوع التزمت وضيق الأفق في مجال الفكر، والإيمان المفرط بالسلطة، وشعور الفرد بالاستسلام والعجز عن تغيير أي وضع من الأوضاع التي يجدها سائدة في المجتمع (بلقزيز، 1997).

غير أن هذا " النموذج المثالي " للشخصية الإنسانية في ظل الإقطاع، أتيح له أن تتبدل قسماته وملامحه بصورة جوهرية، نتيجة لانهيار النظام الإقطاعي وبزوغ النظام الرأسمالي، بما يتضمنه من قوي إنتاج وعلاقات إنتاج جديدة فأصبح التغيير هو شعار العصر الرأسمالي وخصوصا في مراحله الأولى، وساد الفرد نزوع نحو استطلاع آفاق العالم الطبيعي، وأصبح الإنسان متفائلا معتدا بنفسه وقواه مؤمنا بأهمية العمل. ولعل أبرز السمات الجديدة التي اكتسبتها الشخصية الإنسانية في ظل النظام الرأسمالي هي الاعتراف بالسيادة المطلقة للعقل، والتخلي عن غالبية النزعات اللا عقلية التي كانت تسود العصر السابق (أبو أصعب، 1999)، وهذا أفضى إلى العولمة والدليل على ذلك عندما نتعامل مع الإنترنت، هل سيستطيع شبابنا في المستقبل أن يختاروا الجيد من السيئ، أم أن هذه المعرفة التي ستأتينا من الإنترنت مثلا ستكون بمنظار معين من منطلقات معينة، نأخذها كما هي حاضرة ونستعملها فتؤثر في نظرتنا الثقافية والحضارية عامة؟ وهنا يكمن الخطر، لأن في التعليم الجماعي مجالا للمناقشة بينما في التعلم الفردي يجب أن يناقش الفرد آلة في الإنترنت، وكذلك فإن الإنترنت ستكون أداة لتسطيح المعرفة عندما إذا لم ندرب أطفالنا علي الفكر النقدي وعلي التعامل مع المعرفة من جهة المساءلة والتساؤل والاختيار والتمييز، هنالك الإعلام الذي شوّه الحياة الثقافية والفكر العربي الثقافي لأنه ركز علي الفكر السياسي وتسلمته الدولة، وهذا ما يجب أن ننتبه له لأنه يجب أن يقابل إعلاما غنيا بالسيئ وبالجيد، وهناك المفاهيم التي تصدر إلينا والتي يجب أن نأخذها من منطلق مجتمعاتنا نحن وليس من منطلقات فلسفية أخرى مجتمعات أخرى، أذكر منها قضية حقوق الإنسان التي هي نابعة من الفردية التي يتكلم عليها الدكتور الجابري، وهي تعزز الفردية وتضعف المسؤولية الجماعية، المسؤولية تجاه الأسرة، تجاه الوطن وتجاه المجتمع (بلقزيز، 1997).

فالأسرة هي أول وأهم المصانع الاجتماعية التي تنتج الوجدان الثقافي الوطني، بواسطة شبكة القيم التي توزعها - من خلال التربية - علي سائر أفرادها وتلقنهم إياها بوصفها الآداب العامة الواجب احترامها، والمقدسات التي يتعين التزام الإيمان بها وكما يتلقن الطفل - في هذه المؤسسة التكوينية من مؤسسات الإنتاج الاجتماعي لغته، ومبادئ عقيدته، والقوالب الأخلاقية العامة والعليا لسلوكه، كذلك يتلقن بعضنا من المبادئ المؤسسة للشعور بالأنا الجمعي: أي هوية الجماعة الوطنية التي ينتهي إليها وقد تهتز في مراحل الشباب - أي في لحظة الانفصال عن مرجعية الأسرة - ثقة الفرد الاجتماعي في سلطة الأب وشرعيتها، أو قد يتعرض اعتقاده الديني إلي أزمة شك، أو قد يختلط عليه شعور الحنق علي النظام السياسي والاجتماعي بالحنق علي وطن مجحف فتستبين له الهجرة إلي الخارج - مثلا - حلا سحريا ... غير أن هذه السلطة جميعها تظل تتمتع بالاستقرار والرسوخ في وجدانه ووعيه طيلة فترات التربية التي يتلاقاها داخل الأسرة، بل حتى حينما يجنح إلي التمرد عليها في طور الشباب، لا يقطع معها قطيعة كاملة، إذا تظل أثارها في سلوكه فاعلة علي هذا النحو أو ذاك، وبهذا القدر أو ذلك (أبو حلاوة، 2003).

وتمثل المدرسة مؤسسة الإنتاج الاجتماعي الثانية التي تستكمل عمل الأولى وتنتقل بأهدافها إلى مدى أبعد من حيث البرمجة والتوجيه، ربما كانت المدرسة أسرة ثانية للنشئ، تمارس الوظائف التربوية عينها، غير أن موطن القوة فيها أنها تفعل ذلك علي نحو نوعي متميز ففضلا عن قدرتها علي صقل تكوين الفرد الاجتماعي، وتنمية ملكة التحصيل والادراك لديه بدرجة لا يستطيعها الفعل التربوي الأسري، تتفرد بكونها تنتقل بوعيه من حدود " الجماعة الطبيعية " أي الأسرة إلي رحاب الجماعة الوطنية وعند هذه النقطة بالذات تؤدي المدرسة وظيفة إنتاج ثقافة وطنية أو قل أساسيات تلك الثقافة، من خلال توحيد الإدراك وتركيزه علي برنامج عام علي صعيد الوطن برمته، أو من خلال بث وتكريس جملة من المبادئ التي تؤسس لقيام وعي بالأنا الجمعي - الوطني.

والملاحظ اليوم كما لو أن العياء دب في أداء هاتين المؤسستين، ونال من وظائفهما التربوية والتكوينية، ومن قدرتهما علي الاستمرار في ممارسة أدوارهما التقليدية الفعالة في إنتاج وإعادة إنتاج منظومات القيم الاجتماعية، ورصيد الوعي المدني، اللذين يؤسسان البني التحتية للثقافة الوطنية و للسيادة الثقافية ! وفي زعمنا أن هذا الخلل - الطارئ علي العمل الوظيفي " الطبيعي " للأسرة و للمدرسة الوطنية - إنما كان ثمرة مرة لحقيقتين تقوم علي وجودهما ورسوخهما أوفر الدلائل، هما إخفاق النظام التعليمي، وتفكك بنية الأسرة في امتداد الانهيار الكامل - و الشامل - لنظام القيم (أبو حلاوة، 2003).

ولأن الهدف من العولمة هو الترويج لمشاريع تجارية وأخرى سياسية تختفي وراء التقدم الاعلامي والاتصالي كأستورة تقنية ثقافية جديدة ومن هنا قد يصعب تفسير الثورات العلمية المتلاحقة من دون تغيير نظرنا إلي تاريخ العلم فلا نراه وعاء لأحداث متتابعة زمنيا ومن ثم تراكميا ولكن إذا أخذنا في الاعتبار أن الهوية الثقافية للأمة العربية إنما هي حالة ذاتية خاصة ترتبط بمقومات وجودها وأن اللغة العربية هي العامل الأساسي المحرك لهذه الذاتية وشرط حصانتها وديمومتها أيضا فالذاكرة الثقافية للأمة إنما هي حصيلة تجارب الإنسان العربي ومشاركته الحضارية عبر التاريخ كما ذهب تقرير لجنة السياسات الثقافية العربية.

وفي ظل الخطاب السائد عربيا في استخدام لفظ العولمة والتنافسية والتوليد المستمر لأفكار اقتحامية جديدة، وفرصة الحفاظ علي الهوية انطلاقا من قدر مناسب من الثقة بالنفس، ومن هنا دعا أ.د. محمد محمود الإمام وآخرون من تيار المفكرين القوميين العرب إلي ضرورة تمييز ما هو انفتاح للعالم وتراجع لأدوار الدولة القطرية الحديثة والتي تبلورت مع التصنيع والثورة الصناعية، ثم انتقلت بالمحاكاة إلي العالم الثالث

وبين أسباب تطور معرفتنا العلمية بالطبيعة والمادة والكون والحياة وانعكاسات ذلك علي تثوير أساليب الانتاج ووسائل الاتصال البشري وزيادة حصة المعلومات والخدمات في الناتج والتبادل الاقتصادي(التير، 2001).

إلا أن العولمة تعد تعبيراً عن آراء ومواقف ومصالح شعب بعينة وليس جميع الشعوب وخصوصاً أن شعوب العالم ليست متكافئة تقنياً، قاد هذا إلي تغيير قواعد اللعبة بالنسبة لانتقال السمات الثقافية، ومالت الكفة لصالح عدد صغير من الشعوب التي تبعث إلي الآخرين بما تريد، والذي ليس دائماً هو الشيء الذي يرغب الشعوب المتلقية معرفته من خبرة وتقنية وخدمات وقيم وعادات ومن هنا تكبر قائمة السلبيات. ويمثل التراث كونه رأسمالاً رمزياً وذاكرة جمعية للأمة، وأنه لا قيمة لفهم التراث واستيعاب ثرائه الفكري وعمقه الحضاري بمعزل عن أسئلة الحاضر ورهاناته، لأن الخلاف ليس من أجل التراث بل الخلاف على التراث من أجل الحاضر، فالمنتصر في معركة تأويل التراث واحتكار تمثيلة هو الأقدر علي امتلاك الحاضر لهذا السبب الوجيه يعتقد " عبد الإله بلقزيز " أن القضية في جوهرها هي " معركة تأويل الحاضر وامتلاكه واحتكار صوغه " وذلك بهدف السيطرة علي بالاستعانة بما يمكن أن يقدمه التراث من معطيات وأفكار تعبوية أو بما تقدم به من وظائف رمزية واجتماعية(التير، 2001)، تحافظ في مجملها علي الهوية القومية، ولقد قدم عالم الاجتماع الفرنسي بيير بورديو عام 1999 أمام المجلس العالمي لمتحف التلفزيون و الراديو عناصر المنطق الجوهري للصناعة الثقافية الجديدة التي تعتمد الربح السريع، انسجاماً مع معايير العولمة التي ليست عولمة لثقافة كونية كما تحقق في فترات سابقة، بل هي عولمة تجارية تستهدف أوسع جمهور ممكن لاستهلاك منتجات " الكيتش " و " الجينز " و " الكوكاكولا " وجاءت دعوته بضرورة إحياء عولمة ثقافية مقاومة للعولمة التجارية الراهنة. وإذا كانت الثقافة هي محصلة التفاعل بين علاقات ثلاث: مع الله العقيدة والدين ومع الآخر - المجتمع و الطبيعة، ومع الذات الرغبات والغرائز والحاجات وهذا يعني أنها الجواب الذي تقدمه الجماعات البشرية لمشكلة وجودها، والحلول التي يُوجدها الإنسان للمشاكل المطروحة علي من قبل محيطه والثقافة بهذا المعني هي التجربة التي تلخص الجوانب الإبداعية والاجتماعية والسلوكية، والعقيدية التي تسمح بالتمييز بين مجتمع وآخر وبين ثقافة وأخرى. فهل يمكن للعولمة وفقاً لهذا التعريف للثقافة أن تعمل علي توحيد أو صهر ثقافات الشعوب المختلفة والمتفاوتة في ثقافة كونية واحدة؟ وما هي أصلاً عناصر هذه الثقافة الكونية؟

إن مذهب اقتصاد السوق أصبح أكثر قبولا ورواجاً وحقق اختراقات واسعة في العالم، وأنشأ له مؤسسات وهيئات دولية بعد هزيمة نقيضه في الاشتراكية والاقتصاد الموجهة، فهل حققت العولمة اختراقات موازية ومؤسسات دولية موازية علي المستوى الثقافي حتى مع سيطرتها علي التقنيات الحديثة في الاتصال، لا يبدو أيضاً أن العولمة حققت مثل ذلك، ففي كل مرة كانت " العولمة الثقافية " تقترب من اختراق مكونات الثقافة الأساسية عند أي شعب من شعوب العالم لم تكن الاستجابة اندماجاً أو انسحاباً، بل مزيداً من التشبث بالهوية كما جري في الجمهوريات الإسلامية وغير الإسلامية التي استقلت عن الاتحاد السوفياتي السابق، بل وفي أوروبا نفسها. ولنأخذ مرة أخرى أمثلة علي ذلك من محيطنا الأقرب، العربي والإسلامي.

فالتيار الإسلامي باتجاهاته كافة الذي يعتبر اليوم أكثر التيارات تشدداً في شأن الهوية والثقافة بعمقها الديني، لم تجذبه حتى الآن " عولمة الثقافة " لا بل استخدم تقنيات العولمة ووسائلها الحديثة وشبكات الإنترنت للدعاية لنفسه وترويج خطابه السياسي وحتى التنسيق فيما بين أجنحته، فصارت تقنيات الحداثة والعولمة في خدمة ثقافة هذا التيار وهويته.

كما ارتفعت أصوات التمسك بالهوية القومية في مواجهة المشاريع الشرق أوسطية لعملية التسوية التي كانت تهدف إلى استبدال هوية المنطقة العربية - الإسلامية بأخرى جغرافية تضم بلدان الشرق الأوسط بما فيها إسرائيل.

وأثارت علي صعيد مواز مؤتمرات الأمم المتحدة في القاهرة وبكين حول المرأة و السكان حفيظة وانتقاد دول عربية وإسلامية في شأن قضايا المرأة والأسرة والجنس والزواج، وكانت تلك الاعتراضات بمحتواها الثقافي الديني محط لقاء وتنسيق بين الفاتيكاني وبين دول عربية وإسلامية فرقتها المصالح والسياسات.

ولقد أشار " محمد عابد الجابري " إلى عشر أطروحات ترسم إطار عام بين العولمة و الهوية الثقافية كما يمكن أن تُرصد اليوم في الوطن العربي الذي نذكر ثلاثة منهم علي سبيل المثال وهي (الجابري، 1997):  
الأطروحة الأولى: ليست هناك ثقافة عالمية واحدة، بل ثقافات ... بمعنى ليست هناك ثقافة عالمية موحدة، وليس من المحتمل أن توجد في يوم من الأيام، وإنما وجدت، وتوجد وستوجد، ثقافات متعددة متنوعة تعمل كل منها بصورة تلقائية، أو بتدخل من أهلها على الحفاظ علي كيائها ومقوماتها الخاصة، ومن هذه الثقافات ما يميل إلي الانغلاق والانكماش، ومنها ما يسعى إلى الانتشار والتوسع، ومنها ما ينعزل حيناً وينتشر حيناً آخر.  
الأطروحة الثانية: الهوية الثقافية مستويات ثلاثة: فردية وجمعية ووطنية قومية، و العلاقة بين هذه المستويات تتحدد أساساً بنوع " الآخر " الذي تواجهه.

تتحرك الهوية الثقافية على ثلاث دوائر متداخلة ذات مركز واحد على النحو التالي:

- الفرد داخل الجماعة الواحدة، قبيلة كانت أو طائفة أو جماعية مدنية حزبا أو نقابة ... إلخ، هو عبارة عن هوية متميزة ومستقلة، عبارة عن " أنا " لها " آخر " داخل الجماعة نفسها: " أنا " تضع نفسها في مركز الدائرة عندما تكون في مواجهة مع هذا النوع من " الآخر ".
- الجماعات، داخل الأمة، هي كالأفراد داخل الجماعة، لكل منها ما يميزها داخل الهوية الثقافية المشتركة، ولكل منها " أنا " خاصة بها و " آخر " من خلاله وعبره تتعرف علي نفسها بوصفها ليست إياه.
- الشيء نفسه يقال بالنسبة إلي الأمة الواحدة إزاء الأمم الأخرى، غير انها أكثر تجريدا، وأوسع نطاقا، وأكثر قابلية للتعدد والتنوع والاختلاف.

هناك إذن ثلاثة مستويات في الهوية الثقافية، لشعب من الشعوب: الهوية الفردية، والهوية الجمعية، والهوية الوطنية أو القومية والعلاقة بين هذه المستويات ليست ثابتة، بل هي في مد وجزر دائمين، يتغير مدي كل منهما اتساعاً وضيقاً، بحسب الظروف وأنواع الصراع واللا صراع، والتضامن واللا تضامن، التي تحركها المصالح: المصالح الفردية والمصالح الجمعية والمصالح الوطنية والقومية.  
الأطروحة الثالثة: لا تكتمل الهوية الثقافية إلا إذا كانت مرجعيتها أمل اجماع الوطن والأمة والدولة، فلا تكتمل الهوية الثقافية، ولا تبرز خصوصيتها الحضارية، ولا تغدو هوية ممثلة قادرة على مناشدة العالمية، علي الأخذ والعطاء، إلا إذا تجسدت مرجعيتها في كيان مشخص تتطابق فيه ثلاثة عناصر: الوطن والأمة والدولة.

فالوطن: بوصفه " الأرض والأموات "، أو الجغرافيا والتاريخ، وقد أصبحا كيانا روحيا، واحداً، يعمر قلب كل مواطن: الجغرافيا وقد أصبحت معطي تاريخيا والتاريخ وقد صار موقعا جغرافيا.  
والأمة: بوصفها النسب الروحي الذي تنسجه الثقافة المشتركة: وقوامها ذاكرة تاريخية وطموحات تعبر عنها الإدارة الجماعية التي يصنعها حب الوطن، أعني الوفاء " الأرض والأموات " للتاريخ الذي ينبج، والأرض التي تستقبل وتحتضن.

والدولة: بوصفها التجسيد القانوني لوحدة الوطن والأمة، والجهاز الساهر علي سلامتهما ووحدتهما وحماية مصالحهما، وتمثيلهما إزاء الدول الأخرى، في زمن السلم كما في زمن الحرب، ولا بد من التمييز بين " الدولة " ككيان مشخص ومجرد في الوقت نفسه، كيان يجسد وحدة والوطن والأمة، من جهة، والحكومة أو النظام السياسي الذي يمارس السلطة ويتحدث باسمها من جهة أخرى، وواضح أننا نقصد هنا المعنى الأول. وعليه فكل مس بالوطن أو بالأمة أو بالدولة هو مس بالهوية الثقافية والعكس صحيح أيضا: كل مس بالهوية الثقافية هو مس في الوقت نفسه بالوطن والأمة وتجسيدهما التاريخي.

وهذا ما اقترب منه أبرز علماء الاجتماع المعاصرين " مانول كاستي " إذ ركز المجلد الثاني " قوة الهوية " من ثلاثية كاستي على تفحص الحركات الاجتماعية في عصرنا والتحديات التي تواجه نظمنا السياسية التي تهض علي الدولة – القومية. ويميز كاستي بين ثلاثة أشكال للهويات الجمعية هي (كاستي، 2011):

- الهوية المشروعة التي تشير إلى الحركات الجمعية التي لعبت دورا في بناء دولة الرفاهية الحديثة.
- الهوية المقاومة التي يصفها بأنها استبعاد المستبعدين بكسر العين من قبل المستبعدين بفتح العين ويعد هذا هو الشكل الذي تولد نتيجة لمقاومة التدفقات العالمية للنظام الاقتصادي الجديد، هو الشكل السائد حاليا للحركات الاجتماعية.

- الهوية المقترحة التي تتمتع بالقدرة المحتملة علي إعادة بناء عناصر من المجتمع المدني الجديد.

**خاتمة:**

في زمن العولمة وصراع الحضارات الذي نعيشه، وزخم ثورة الإعلام الجديد وشيوع مبادئ الرأسمالية وسيطرت الشركات عابرة القارات على الاقتصاد العالمي، وتحول العالم إلى قرية صغيرة تتحكم فيها رؤوس الأموال فيما يعرف باقتصاد المعرفة، ودخول وسائط ومواقع التواصل الاجتماعي في حياتنا اليومية، كل ذلك ومع تأخر العرب والمسلمين وضعفهم وبقائهم ضمن العالم الثالث في فئة المستهلكين، كل ذلك غيَّب التصور الإسلامي الواضح للإنسان والحياة والكون، وجعل مبادئ الكثير من الشباب تهتز، مما أثر على هويتهم وجعلها عرضة للتشتت في كثير من الأحيان، والتمزق في أحيان أخرى.

## الإحالات والمراجع:

- 1 محمد شحرور، 2009، العولمة والهوية الثقافية. <http://www.dafatir.com>. 11/06/2018..
- 2 الصاوي علي السيد، نظرية الثقافة، الكويت، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، 1997، ص 9.
- 3 السويدي محمد، مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته، الجزائر، المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر، 1991، ص 68.
- 4 عبد اللطيف عبادة، صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي، باتنة، الجزائر، دار الشهاب للطباعة والنشر، 1984، ص 110.
- 5 محمد مسلم، الهوية في مواجهة الاندماج، الجزائر، دار قرطبة للطباعة والنشر، 2009، ص 89.
- 6 المسدي عبد السلام، الهوية والثقافة، ندوة العرب والعولمة، 1997، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
- 7 فيصل محمود غرايبة، العمل الاجتماعي في مجال رعاية الشباب، عمان، دار وائل للنشر والتوزيع، 2009، ص 23- 24.
- 8 المرجع نفسه، ص 25.
- 9 ابن منظور: لسان العرب، بيروت، دار صادر للطباعة والنشر، المجلد الأول، 1997، ص 312.
- 10 المرجع نفسه، ص 312.
- 11 محمود محمد صالح، المشاركة السياسية لدى الشباب الجامعي في عصر العولمة، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الانسانية، الجامعة الإسلامية - غزة، المجلد 19، العدد 2، 2011، ص 296.
- 12 ابن منظور، مرجع سابق، ص 371.
- 13 علاء الدين الزاكي، وسائل الدعوة بين الاصالة والمعاصرة، مجلة دراسات دعوية، المركز الإسلامي الأفريقي - السودان، العدد 16، 2008، ص 17.
- 14 المرجع نفسه، ص 18.
- 15 عثمان بن صالح العامر، دور المؤسسات التعليمية في تحقيق الأمن الخلقي والمجتمعي في عصر العولمة، ورقة عمل مقدمة لندوة المجتمع والأمن، 2006، كلية الملك فهد الأمنية، الرياض.
- 16 محمد شحرور، مرجع سابق.
- 17 الدجاني صدقي، العولمة رؤية تحليلية لواقع الظاهرة ومستقبلها في العولمة وأثرها في المجتمع والدولة، الإمارات، منشورات مركز الدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2002، ص 19، 23.
- 18 علال سمان، 2019، خطورة العولمة على الهوية الثقافية. <http://www.almeshkat.net> 10/06/2019
- 19 الدجاني صدقي، مرجع سابق، ص 19 .

- 20 حسن حنفي، ما العولمة؟، دمشق، دار الفكر للنشر، 1999، ص 05.
- 21 ماجد الزيود، الشباب والقيم في عالم متغير، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2011، ص 122.
- 22 كمال محمد التابعي، الفقر في ظل تحولات العولمة، جامعة القاهرة، 1999، ص 9.
- 23 المرجع نفسه، ص 17.
- 24 ابن منظور، مرجع سابق 120.
- 25 اسحاق العطب، البحث العلمي و الاعلام - نظريات و تطبيقات، عمان، دار وائل للنشر، 2008، ص 11.
- 26 المرجع نفسه، ص 11.
- 27 lisa Tsaliki, 2002, the Global civil societ, some theoretical considerations.
- 28 course- workshop, 2002“ Latin@s in the Era of Globalization: Migration, culture and Identity“(April-June,2002).[http://www.melassa.org/curso\\_taller\\_description.htm](http://www.melassa.org/curso_taller_description.htm).
- 29 UNESCO Education, 2003, Higher Education in a Globalized society, P.4.
- 30 Nils Zurawski, culture, 1998, Identity and the Internet, pp.1-2. <http://www.uni-muenster.de/peacon/zurawski/identity.htm>.
- 31 Education and Globalization, 1998, the llep Newsletter, isavailable :[http // :www .Education .Unesco.org educprog / llep / news // st. html](http://www.Education.Unesco.org/educprog/llep/news/st.htm), pp.2-6.
- 32 faculty of Arts, 2004, Education and social sciences, people, Identity and place:  
<http://www.faess.jcu.edu.au/identity.place.html>.
- 33 Asghar Ali Engineer, 2004, Religion, Identity and Democracy, November 2004, pp. 1-3, <http://www.Countercurrents.Org>.
- 34 ibid
- 35 ibid
- 36 مصطفى الفقي، حوار الأجيال، بيروت، دار الشروق للنشر والتوزيع، 1994، ص 63.
- 37 مصطفى عمر التير، العولمة و إمكانية النهوض بالتنمية البشرية، في اجتماع الخبراء " العولمة و التعليم والتنمية البشرية، فبراير 2001، جامعة الدول العربية، ص ص 45-46.
- 38 عبد الإله بلقزيز، العولمة والهوية الثقافية، عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة، ندوة العرب والعولمة، 1997، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص 312.
- 39 المرجع نفسه، ص 313.
- 40 صالح أبو أصبع، تحديات الاعلام العربي، عمان، دار الشروق، 1999، ص 46.
- 41 المرجع نفسه، ص 46.
- 42 كريم أبو حلاوة، الفكر النقدي العربي وضرورة تصويب الأسئلة، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد 32، سبتمبر، 2003، ص 261.
- 43 المرجع نفسه، ص 261.
- 44 مصطفى عمر التير، مرجع سابق، ص 40.
- 45 المرجع نفسه، ص 41.
- 46 محمد عابر الجابري، العولمة والهوية الثقافية- عشر أطروحات، ندوة العرب والعولمة، ندوة العرب والعولمة، 1997، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص ص 298-299.
- 47 مانول كاستي، عالم جديد يتخلق " حول عصر المعلومات " عرض: محمد محي الدين، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد 32، العدد 1، 2011، ص ص 275 - 280.